

أسرار التشابه اللفظي في تفسير الشيخ الشعراوي المتعلقة باختلاف الصيغ
(دراسة وصفية تحليلية)

**Secrets of verbal similarity in the interpretation of Sheikh Al-Shaarawi related to the difference in forms
(a descriptive and analytical study)**

Dr. Abdullah

Lecturer Department of Islamic Studies

Alhamd Islamic University Islamabad

Email: drabdullah1012@gmail.com

Dr. Shakeel Ahmad

Lecturer Department of Arabic

Allama Iqbal Open University Islamabad

Email: Shakeelahmad@aiou.edu.pk

Abstract

The Praiseworthy Criterion is a miraculous book for creation in its style, eloquence, and organization, miraculous in its wisdom, knowledge, and the influence of its guidance.

The subject of difference in forms is one of the most important topics of semantics and is investigated in the coining of words, phrases, and sentences. To explain the secrets and rhetorical advantages it contains, and the Holy Qur'an is the best resource and an addition to that. Because of the abundance of words it contains and the multiplicity of meanings, it has occupied the world since its revelation, so scholars raced to research its words and methods and extract its secrets and pearls. Scholars have devoted themselves to studying everything related to the Book of God Almighty, including the issue of verbal similarity. After consideration and extrapolation, it became clear that Sheikh Al-Shaarawi's interpretation is one of the interpretations that focused on this issue, hence the title of the topic "The Secrets of Verbal Similarity in Sheikh Al-Shaarawi's Interpretation Related to the Difference Formulas' descriptive analytical study. This research deals with revealing the concept of verbal analogy, the importance of verbal analogy, its benefits, secrets, and its most important works. It also studies this topic through the interpretation of Sheikh Al-Shaarawi, which is considered for contemporary interpretations. What is also unique about Sheikh Al-Shaarawi is that he infers in his interpretation the significance of the Qur'anic context when dealing with an issue. Verbal similarity.

The research includes an introduction, a preface, two sections, and a conclusion.

The introduction shows the importance of the topic and the interest of Sheikh

Al-Shaarawi in the section on verbal similarity, and the introduction sheds light on the author and the author. The first section deals with the definition of the difference in forms, the definition of verbal similarity, its importance, its benefits, its secrets, and its most important works.

The second topic: the secrets of verbal similarity related to the difference in forms.

Keywords: The importance of verbal similarity - the secrets of verbal similarity - the approach of Sheikh Al-Shaarawi through his interpretation in presenting the issue of difference in forms - the uniqueness of Sheikh Al-Shaarawi when dealing with the issue of verbal similarity.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم و أنزل كتابه في أبلغ الجمل، والصلاة والسلام على أشرف أنبياء والمرسلين، ومن تبعهم إلى يوم الدين. وبعد
إن الفرقان الحميد هو كتاب المعجز للخلق في أسلوبه وبلاغته ونظمه، المعجز في حكمه وعلومه وفي تأثير هدايته.

وموضوع اختلاف الصيغ من أهم موضوعات علم المعاني ويبحث في سبك الألفاظ والعبارات والجمل؛ لبيّن ما فيها من أسرار ومزايا بلاغية، والقرآن الكريم خير مورد وزاد في ذلك؛ لما يحتويه من غزارة اللفظ وتعدد المعنى، بل إنه شغل العالم منذ نزوله فتسابق العلماء إلى البحث في ألفاظه وأساليبه واستخراج أسرارهِ ودرره.

وقد عكف العلماء على دراسة كل ما يتعلق بكتاب الله عزوجل، ومن ذلك قضية التشابه اللفظي، وبعد النظر والاستقراء تبين أن تفسير الشيخ الشعراوي من التفاسير التي ركزت على هذه القضية، ومن هنا جاء عنوان الموضوع "أسرار التشابه اللفظي في تفسير الشيخ الشعراوي المتعلقة باختلاف الصيغ" دراسة وصفية تحليلية. ويتناول هذا البحث الكشف عن مفهوم التشابه اللفظي، وأهمية التشابه اللفظي، وفوائده، وأسراره وأهم مؤلفاته، كما يدرس هذا الموضوع من خلال تفسير الشيخ الشعراوي الذي يعتبر من أجل التفاسير المعاصرة، ومما ينفرد أيضا الشيخ الشعراوي أنه يستدل في تفسيره بدلالة السياق القرآني عند تناول قضية التشابه اللفظي.

يشتمل البحث على مقدمة و تمهيد و مبحثين وخاتمة.

والمقدمة تبين أهمية الموضوع واهتمام الشيخ الشعراوي في باب التشابه اللفظي والتمهيد يسلط الأضواء على المؤلف والمؤلف، المبحث الأول يتناول تعريف اختلاف الصيغ، تعريف التشابه اللفظي، وأهميته، وفوائده، وأسراره، وأهم مؤلفاته،

المبحث الثاني: أسرار التشابه اللفظي المتعلقة باختلاف الصيغ.

الكلمات المفتاحية: وأهمية التشابه اللفظي - أسرار التشابه اللفظي - منهج الشيخ الشعراوي من خلال تفسيره في عرض قضية اختلاف الصيغ - تفرد الشيخ الشعراوي عند تناول قضية التشابه اللفظي.

ترجمة الشيخ الشعراوي

أولاً: مولده ونسبه

الميلاد: ولد الشيخ محمد متولي الشعراوي بقرية دقادوس⁽¹⁾ مركز ميت غمر محافظة الدقهلية في الخامس عشر من أبريل سنة إحدى عشر وتسعمائة وألف ميلادية بمنزل والده بحارة الشيخ عبد الله الأنصاري. مؤلفاته:

لم يعرف للشيخ الشعراوي مؤلف كتبه بيده، وجميع ما يتداول من كتب تحمل اسمه إنما هي في الحقيقة مأخوذة من سلسلة محاضراته ودروسه خلال مسيرته العلمية، قامت دور النشر بنشرها. وعليه فإن العديد من تلك المؤلفات لم يطلع عليه الشيخ الشعراوي ولا أذن بطبعه، وصارت العديد من المؤلفات تنسب إلى الشيخ وتعتمد كونها صحيحة النسبة إليه. ومن أبرز المؤلفات تفسير الشعراوي، معجزة القرآن وغير ذلك. وكانت وفاته الشيخ الشعراوي - رحمه الله - في الساعة الثالثة والنصف قبل فجر يوم الأربعاء الثاني والعشرين من صفر 1419 هجري، الموافق للسابع عشر من شهر جوان 1998 ميلادي. عن عمر يناهز سبعة وثمانين عاماً.

التعريف بالمؤلف "تفسير الشيخ الشعراوي".

أسلوب الشعراوي وطريقته في التفسير

أولاً: - اعتمد الشعراوي في تفسيره على الترتيب المعتاد للصور والآيات حسب ترتيب المصحف، ابتداء بسورة الفاتحة على طريقة عامة أهل التفسير، وإن كان في كثير من الأحيان يستطرد في عرض بعض القضايا ويستشهد بآيات ليس المراد تفسيرها، كما يغلب على تفسيره التكرار، فكثيراً ما يعيد تفسير الآيات في مواضع مختلفة كلما دعت المناسبة إلى ذلك.

ثانياً: - كثيراً ما يقطع الآية إلى مفردات، ويكتفي بشرح تلك المفردات التي تؤدي لجلاء المعنى وظهوره.

ثالثاً: - قد يذكر مناسبة الآية لما قبلها، دون أن يغفل ذكر التناسب بين سور القرآن.

رابعاً: - يبدأ الشعراوي تفسيره بالآية الباب، ثم يجزئها إلى مقاطع.

خامساً: - كثيراً ما يبدأ تفسيره للآية بمسائل نحوية أو قضايا لغوية أو بلاغية.

سادساً: - غالباً ما نجده يتوقف عند مفردة ليشرحها، وربما يستطرد في شرحها ويتوسع في ذكر المعاني اللغوية لها.

سابعاً: - كما يتطرق أحياناً إلى القراءات الواردة في الآية.

ثامنا: - كما نجد أنه ينسب إلى سبب نزول الآية المراد تفسيرها في الغالب، من ذلك إشارته إلى سبب نزول هذه الآية قبل الشروع في تفسيرها.

المبحث الأول: تعريف اختلاف الصيغ، تعريف التشابه اللفظي، وأهميته، وفوائده، وأسراره، وأهم مؤلفاته حين نتأمل اللفظة المفردة من حيث كونها اسماً أو فعلاً وما تحويه من صيغ وما تؤديه من معان جمة، نجد أن له أهمية، حيث يبيّن عليه فروق واضحة ودقيقة في دلالة الكلام على المعنى المراد والعرض المقصود، فكل من الاسم والفعل له دلالة الخاصة التي لا تتحقق إلا به، فلا يمكن وضع أحدهما مكان الآخر، فلكل واحد منهما مقام يستدعيه وسياق يقتضيه، فالفرق بينها فروق تمس الحاجة إليها في علم البلاغة. فمثلاً لفظ (منطلق) في قولك (زيد منطلق) يدل على الثبوت والاستمرار من غير إفادة التجدد والحدوث، أما لفظ (ينطلق) في قولك: (زيد ينطلق) فيدل على إفادة التجدد والحدوث دون الثبوت والاستمرار.

تعريف التشابه اللفظي لغةً وإصطلاحاً

المتشابه لغة: قال أحمد بن محمد الفيومي: "واشتبهت الأمور وتشابهت: التبتت فلم تتميز ولم تظهر، ومنه اشتبهت القبلة ونحوها، والشبهة في العقيدة المأخذ الملبس، سميت شبهة لأنها تُشبه الحق... وتشابهت الآيات: تساوت أيضاً؛ فالمشابهة: المشاركة في معني من المعاني و"الاشتباه" الالتباس".⁽²⁾ قال الجوهري: "شِبْهُ وَشَبَّهَ لَعْنَانِ بِمَعْنَى... والمشتبهات من الأمور المشكولات، والمتشابهات المتماثلات".⁽³⁾ وقال الفيروز آبادي: "وشابهه وأشبهه: مائله... وتشابهها، واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التباسا... وأمور مشتبهة ومشبّهة: مشكلة"⁽⁴⁾

المتشابه في الاصطلاح:

قال الزركشي: "هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء".⁽⁵⁾

وليس المراد الزركشي قصر المتشابه على القصص القرآني؛ لأنه جعله كثيراً فيه لا قاصراً عليه، والأمثلة التي مثل بها رحمه الله تدل على ذلك.

والخلاصة مما سبق أن تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحاً: هو الآيات القرآنية المتكررة بلفظها، أو مع اختلاف يسير في لفظها أو نظمها أو كليهما، مع تقارب المعنى لغرض ما.

أهمية التشابه اللفظي وفوائده

ترجع أهميته إلى أهمية نشأته، حيث أنه أنشئ حفاظاً على القرآن الكريم، من أن يقع اللحن في كلماته، وتيسيراً لحفظ كتاب الله، وهو من علوم القرآن التي تخدمه وتحافظ عليه وتبرز كثيراً من وجوه إعجازه وأسراره التي لا تنفد.

ثانياً: ترجع أهمية هذا العلم إلى موضوعه فهو ضرب من تفسير القرآن؛ لذلك فأهميته من أهمية علم التفسير، فعلم التشابه اللفظي في القرآن الكريم قسم قائم بذاته، وهو من الأنواع التي اشتمل عليها القرآن في بيان أنه وحى، لا عمل للبشر فيه.

ثالثاً: أن علم التشابه اللفظي يعين على تيسير حفظ القرآن الكريم وإتقانه، ولذلك صنف العلماء مؤلفات في التشابه اللفظي لهذا الغرض تحديداً.

أهم المؤلفات في التشابه اللفظي

انقسم التصنيف في علم التشابه اللفظي إلى اتجاهين:

الأول: جمع آيات التشابه اللفظي دون توجيه:

بدأ التصنيف في علم التشابه اللفظي بجمع الآيات المتشابهات دون التوجيه، وبيان سبب الاختلاف بين الموضوعين، وكان من أوائل ما صُنّف في هذا الشأن كتاب (متشابه القرآن) لعلّي بن حمزة الكسائي في القرن الثاني الهجري، وقد صرح فيه بمهدفه من تأليفه قائلاً: "ليكون كتابنا هذا عوناً للقارئ على قراءته، وتقوية على حفظه" (6).

ولكن مع ظهور الطاعنين والقائلين بالتكرار في النصّ القرآني ظهر الاتجاه الثاني من التصنيف في علم التشابه اللفظي، وهو: الثاني: توجيه آيات التشابه اللفظي:

فقد ذكر الإمام الإسكافي -أول من صَنّف كتاباً مستقلاً في توجيه التشابه اللفظي- أنّ من أسباب تأليفه لدرة التنزيل: «ولطعن الجاحدين ردّاً، ولمسلك الملحدّين سدّاً»، وفي نهاية الكتاب يقول: "هذا آخر ما تكلمنا عليه من الآيات التي يقصد الملحدون التطرّق منها إلى عيبها" (7).

المبحث الثاني: أسرار التشابه اللفظي المتعلقة باختلاف الصيغ.

الموضع الأول

قوله تعالى: {أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} (8).

يقول الشيخ الشعراوي: "فلماذا قال في قوم هود: {أَنْصَحُ لَكُمْ} (9)، وقال هنا في عاد: {وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ}؟ لقد قال الحق: {أَنْصَحُ لَكُمْ} في قوم نوح لأن الفعل دائماً يدل على التجدد، بينما يدل الاسم على الثبوت. ونظراً إلى أن نوحاً عليه السلام كان يلحّ على قومه ليلاً ونهاراً، وإعلاناً وسراً، لذلك جاء الحق بالفعل: {أَنْصَحُ لَكُمْ} ليفيد التجدد، ولكن في حالة قوم هود جاء سبحانه بما يفيد الثبوت وهو قوله: {نَاصِحٌ أَمِينٌ}؛ لأن هوداً عليه السلام لم يلحّ ويكرر على قومه في دعوتهم إلى الإيمان كما كان يفعل نوح عليه السلام" (10).

تحليل ومناقشة

حاصل بين الشيخ الشعراوي أن السر في اختلاف الصيغتين أن سيدنا نوحا كان يُلح في دعوة قومه ليلا ونهارا ويكرر ذلك فناسب ذلك أن تأتي الصيغة في صورة الفعل الذي يدل على التجدد والحدوث بينما في قصة سيدنا هود لم يكن هناك تكرار ولذلك ناسب أن تأتي الصيغة في صورة الإسم الدال على الثبوت. وقد أورد بعض العلماء أوجها أخرى حيث ذكر ابن جماعة "جوابه: أن "الضلال" فعل يتحدد بترك الصواب إلى ضده ويمكن تركه في الحال، فقابله بفعل يناسبه في المعنى فقال: (وَأَنْصَحُ). "والسفاهة" صفة لازمة لصاحبها فقابله بصفة في المعنى، فقال: ((وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ))⁽¹¹⁾

ويقول ابن الزبير -رحمه الله- " وإنما قال " وأنصح " ، " وأعلم " ليعلم بتماديه على النصح لهم وهم لا يشعرون... فجمه عليه السلام فيما خاطبهم به رد مقالهم ورميهم بأكثر مما رموه به ورد ذلك عليهم بألطف رد وأبينه ... واما جواب هود عليه السلام فإن قومه لما قالوا: "إنا لنراك في سفاهة" فرموه بخفة الحلم وقلة الثبات وكثرة الطيش نفى عليه السلام ذلك عن نفسه فقال: "ليس بي سفاهة" فرد قولهم ثم عرفهم برسالته ... فقال "أبلغكم" فجاء بالفعل المشعر بالتكرار والاستمرار قياما بإبلاغ رسالته وحفظاً لأمانتها ثم قال: "وأنا لكم ناصح أمين" فعرفهم بصفتين جليلتين قد اكتنفته العصمة فيهما ... وإنما أتى في إخبارهم بنصحه وأمانته بالاسم فقال: "ناصح أمين" وكم يقل: أنصح - فيأتي بالفعل - ليحصل منه أن ذلك الوصف الجليل لازم له غير مفارق ولم يكن الفعل ليعطى ذلك فجاء بالاسم... وذكر أن هذا الموضوع مثل الوارد في قوله تعالى مخبرا عن المنافقين: "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزون الله يستهزي بهم" فأخبر عن قولهم للمؤمنين "آمنا" بالفعل الماضي وليس من وضعه إعطاء الدوام في الأكثر... وأخبر تعالى عن قولهم لإخوانهم وشياطينهم بقولهم: "إنا معكم إنما نحن مستهزون" فجاءوا بالاسم إعلاما بصفتهم التي هم عليها مستهزون⁽¹²⁾.

الموضع الثاني

قوله تعالى: {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} (13).

يقول الشيخ الشعراوي: "ولأن المستشرقين يريدون أن يشككونا في القرآن قالوا: ولماذا قال في سورة الشعراء: {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} (14). وكان هؤلاء المستشرقون يريدون أن يفرقوا بين {سَاحِرٍ عَلِيمٍ} و {سَاحِرٍ عَلِيمٍ}؛ ولأنهم لا يعرفون اللغة لم يلتفتوا إلى أن «سَاحِرٍ» تفيد المبالغة من جهتين. فكلمة «سَاحِرٍ» تعني أنه يعمل بالسحر، و «سَاحِرٍ» تعني أنه يباليغ في إتقان السحر، والمبالغات دائما تأتي لضخامة الحدث، أو تأتي لتكرار الحدث. ف «سَاحِرٍ» تعني أن سحره قوي جدًّا، أو يسحر في كل حالة، فمن

ناحية التكرار هو قادر على السحر، ومن ناحية الضخامة هو قادر أيضاً. ومادام القائلون متعددين. فواحد يقول: ساحر، وآخر يقول: سحّار وهكذا. والقرآن يغطي كل اللقطات⁽¹⁵⁾.

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي أن كل صيغة في هذه القصة تؤدي وظيفة وتُصور مقطعاً حصل في موقف الملام مع فرعون فبعضهم عبر "ساحر" أي متقن في السحر والبعض الآخر قال "سحّار" وهذه صيغة مبالغة أي بلغ في السحر إلى حد الإتقان الكامل بما ينسجم مع الموقف وعليه فكل صيغة بينت لقطه في القصة لا يمكن الإستغناء عنها. وقد اتفق في هذا الوجه مع أبوحيان -رحمه الله-⁽¹⁶⁾ وقد أورد العلماء أوجهاً أخرى ومن ذلك يقول الكرمانى -رحمه الله- "قوله {بكل ساحر عليهم} وفي الشعراء {بكل سحّار} لأنه راعى ما قبله في هذه السورة، وهو قوله {إن هذا لساحر عليهم} وراعى في الشعراء الإمام فإنه فيه {بكل سحّار} بالألف وقرئ في هذه السورة {سحّار} أيضاً طلباً للمبالغة وموافقة لما في الشعراء.⁽¹⁷⁾ ويقول الفخر الرازي -رحمه الله- "قرأ حمزة والكسائي بكل سحّار والباقون بكل ساحر فمن قرأ سحّار فحجته أنه قد وصف بعليم ووصفه به يدل على تناهيه فيه وحذقه به فحسن لذلك أن يذكر بالاسم الدال على المبالغة في السحر ومن قرأ ساحر فحجته قوله: {وَأَلْقَى السِّحْرَ} ⁽¹⁸⁾ و{لعلنا نتبع السحرة} ⁽¹⁹⁾ والسحرة جمع ساحر مثل كتبة وكاتب وفجرة وفاجر. واحتجوا أيضاً بقوله: {سحروا أعين الناس} ⁽²⁰⁾ واسم الفاعل من سحروا ساحر".⁽²¹⁾

الموضع الثالث

قوله تعالى: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جاثِمِينَ} ⁽²²⁾. يقول الشيخ الشعراوي: "ولقائل أن يقول: لماذا لم يقل الحق سبحانه هنا: «وأخذت الذين ظلموا الصيحة»؟ لماذا اختفت تاء التأنيث من الفعل، وقال سبحانه: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ}. ونقول: إن الذي يتكلم هنا هو رب العباد سبحانه، ولا يصح أن نفهم الصيحة على أنها جاءت لتعبر عن صيحة واحدة، فتاء التأنيث تعبر عن الصيحة لمرة واحدة، أما إذا تكررت وصارت صباحاً كثيراً تأخذهم كل صيحة من الصباح. وهنا نلمح أن الصيحة فيها ضعف الأنوثة، أما الصباح ففيه عزيمة وقوة الرجولة، فأراد الحق سبحانه أن يجمع الأمرين، فقال: «أخذ» ولم يقل: «أخذت» ⁽²³⁾.

تحليل ومناقشة

يتبين من كلام الشيخ الشعراوي أن الاختلاف جاءت لرعاية هذه الأمور الدقيقة، وهنا استخدم القرآن صيغة المذكر والفاعل مؤنث؛ لأن القرآن راعى معنى الصباح، إذ في التأنيث ضعف، وهذا لا يؤدي ما يقصد

القرآن، يتكلم هنا هو رب العباد سبحانه، ولا يصح أن نفهم الصيغة على أنها جاءت لتعبر عن صيغة واحدة، فتاء التأنيث تعبر عن الصيغة لمرة واحدة، أما إذا تكررت وصارت صياحاً كثيراً تأخذهم كل صيغة من الصياح.

وهنا نلمح أن الصيغة فيها ضعف الأنوثة، أما الصياح ففيه عزيمة وقوة الرجولة، فأراد الحق سبحانه أن يجمع الأمرين.

وقد أورد العلماء أوجه أخرى ومن ذلك يقول الخطيب الإسكافي - رحمه الله " إن مثل هذا إذا جاء في كلام العرب سهل الكلام فيه، لأنه يقال: حمل على المعنى، والصيغة بمعنى الصياح، كما أن قول الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

حمل على المعنى إذ الصوت بمعنى الصيغة.

غير أن السؤال الذي بنيت الآيات لازم، وهو أن يقال: فهل كان يجوز مكان أخذت أخذ في القرآن؟ وهل لتخصيص قصة شعيب ب أخذت فائدة ليست لها قصة صالح عليه السلام.

والجواب عن هذا الموضوع هو أن يقال: إن الله تعالى أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ: منها (الرجفة) في سورة الأعراف في قوله: {وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّا لَنَكُونَنَّ إِذَا لَخَاسِرُونَ* فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ* الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ} (24) وذكر ذلك قبله في مكان آخر. ومنها (الصيحة) في سورة هود في قوله تعالى: {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} (25). ومنها (الظلة) في سورة الشعراء 89 في قوله تعالى: (فأخذهم عذاب يوم الظلة). وفي التفسير أن هذه الثلاث جمعت لإهلاكهم واحدة بعد أخرى، لأن الرجفة بدأت بهم فانزعجوا لها عن الكن إلى البراح، فلما أصروا نال منهم حر الشمس وظهرت لهم ظلة تبادروا إليها، وهي سحابة سكنوا إلى روح ظل تحتها فجاءت الصيحة فهدموا لها. فلما اجتمعت ثلاث أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوال فيه هذه المؤنثات، فلذلك جاء في قصة شعيب: (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) (26).

ويقول ابن الزبير - رحمه الله - " أن التأنيث على ضربين حقيقي وغير حقيقي، فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً إلا أن يقع فصل نحو قام اليوم هند، وكلما كثر الفصل حسن الحذف، ومن كلامهم حضر القاضي اليوم امرأة، والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعاً. وأما التأنيث غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حسن، قال تعالى: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى} (27) وهو كثير، فإن كثر الفصل ازداد حسناً، (ومنه) (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ)، فالحذف والإثبات هنا جائزان والحذف أحسن، فجاء الفعل

في الآية الأولى على الأولى، ثم ورد في قصة شعيب وهي الثانية بإثبات علامة التأنيث على الوجه الثاني، جمعاً بين الوجهين إذ الآيتان في سورة واحدة وتقدمها الأولى على ما ينبغي، والله أعلم".⁽²⁸⁾

الموضع الرابع

قوله تعالى: {وَلَيْتُنَّ أُرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} ⁽²⁹⁾.

يقول الشيخ الشعراوي: "لك أن تلحظ الفرق بين أسلوب هذه الآية {وَلَيْتُنَّ أُرْسَلْنَا رِيحًا ...} والآية السابقة {الله الذي يُرْسِلُ الرِّيحَ ...} ⁽³⁰⁾ فيرسل: مضارع دالٌّ على الاستمرار، والرياح كما قلنا لا تُستعمل إلا في الخير، فكأن إرسال الرياح أمر متوافر، وكثيراً ما يحدث فضلاً من الله وتكثيراً. أما هنا، وفي الحديث عن الريح، وسبق أن قلنا: إنما لا تستعمل إلا في الشر، فلم يقل يرسل، بل اختار (إن) الدالة على الشك، والفعل الماضي الدال على الانتهاء لماذا؟ لأن ريح الشر نادراً ما تحدث، ونادراً ما يُسلطها الله على عباده، فمثلاً ريح السموم تأتي مرة في السنة، كذلك الريح العقيم جاءت في الماضي مرة واحدة، كذلك الريح الصرصر العاتية" ⁽³¹⁾.

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي-رحمه الله- وقد استخدم القرآن الكريم الفعل المضارع الدال على الاستمرار في جانب الرحمة واستخدام الفعل الماضي "بان" الدالة على القلة في جانب العذاب، وقد راعى القرآن الكريم رعاية تامة لمثل هذه الأمور الدقيقة.

وقد أورد العلماء أوجهاً أخرى ومن ذلك يقول الإسكافي-رحمه الله- "أن يقال: بل لكل ما يوجب في الإختيار اللفظ الذي جاء عليه، وإن كان وصف الله عز وجل بأنه أرسل الرياح فبسط بها السحاب فساقه فأنزل منه الأمطار فأحيا بها البلاد، كوصفه بأنه يفعل ذلك في المستقبل، لأنه قادر كما كان. إلا أن الآية التي في سورة الأعراف جاء فيها (يرسل) بلفظ المستقبل، لأن قبلها: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين)* ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين)".⁽³²⁾

ويقول ابن الزبير-رحمه الله- "الذي يرسل الرياح نشرها بين يدي رحمته" فانتظم آخر الكلام بأوله وارتبط عوده ببدئه وتناسب أوضح تناسب بما يفهمه الفعل المضارع من التكرار من حيث لا يمنع ذلك ولو ورد هنا بلفظ الماضي لما ناسب لما يقتضيه الانقطاع إلا للحامل والله أعلم".⁽³³⁾

الموضع الخامس

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} ⁽³⁴⁾.

يقول الشيخ الشعراوي: "وقوله تعالى: {وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ ...} {وَلَمْ يَكُنْ لَكَ دُونَهُ حَمَلٌ وَفِي الْكَلَامِ عَنِ حَرَكَةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ {يُؤَلِّجُ ...} إِلَى الْمَاضِي {سَخَّرَ ...} فِي الْكَلَامِ عَنِ حَرَكَةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَالَ {يُؤَلِّجُ ...} {وَمَا تَكَلَّمَ عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَالَ: {سَخَّرَ ...} لِمَاذَا؟
قالوا: لأن التسخير تم مرة واحدة، ثم استقر على ذلك، أما إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل فأمر مستمر يتكرر كل يوم، فناسبه المضارع الدال على التكرار" (35).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي-رحمه الله- فاستعمال فعل "سَخَّرَ" للدلالة على الثبوت والحتمية، واستعمال الفعل المضارع يولج للدلالة على استمرار هذا العمل إلى يوم القيامة.
وقد أورد العلماء أوجه أخرى ومن ذلك يقول أبو السعود-رحمه الله- {وسخر الشمس والقمر} عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوك في الآخر متجدد في كل حين وأما تسخير النيران فأمر لا تعدد فيه ولا تجدد وإنما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشير إلى ذلك حيث قيل {كل يجري} أي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام جريا مستمرا {إلى أجل مسمى} قدره الله تعالى لجرهما وهو يوم القيامة. (36) ووافق الألويسي-رحمه الله- (37)

الموضع السادس

قوله تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} (38).

يقول الشيخ الشعراوي: "وقوله: {فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا}. {المتكلم هنا هو الخضر عليه السلام فنسب إرادة عيب السفينة إلى نفسه، ولم ينسبها إلى الله تعالى تنزيهاً له تعالى عما لا يليق، أما في الخير فنسب الأمر إلى الله فقال: {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزُهُمَا..} (39) لذلك فإنه في نهاية القصة يرجع كل ما فعله إلى الله فيقول: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي..} (40).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الأسلوب عجباً. ألا تراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وأسند في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله فَأَرْدْنَا أَنْ يُبْدِيَهُمَا رَجْمًا وَفَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى، لأن المراد ثم عيب، فتأدب ثم نسب الاعابة إلى نفسه. وإما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور، فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك: أمرنا بكذا، أو دبرنا كذا، وإنما يعنون أمر الملك ودبر، ويدل على ذلك قوله في الثالثة فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا فانظر كيف تغيرت هذه الأساليب

ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها، ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة، فسبحان اللطيف الخبير، وقد اتفق الشيخ الشعراوي في هذا الوجه مع الإمام الكرماني، وابن جماعة.⁽⁴¹⁾

وقد أورد العلماء أوجها أخرى ومن ذلك يقول الأنصاري-رحمه الله- " فأردت أن أعيبها . قاله الخضر في خرق السفينة، وقال في قتل الغلام " فأردنا أن يدهما ربهما خيرا منه " وفي إقامة جدار اليتيمين " فأردت ربه أن يبلغنا أشدهما ويستخرجا كنزهما ". لأن الأول في الظاهر إفساد محض، فأسنده إلى نفسه. وفي الثالث إنعام محض، فأسنده إلى ربه تعالى.

وفي الثاني إفساد من حيث القتل، وإنعام من حيث التبديل، فأسنده إلى ربه ونفسه، كذا قيل في الأخيرة. والأوجه فيه ما قيل: إنه عبر عن نفسه بلفظ الجمع، تنبيها على أنه من العظام في علوم الحكمة، فلم يقدم على القتل إلا لحكمة عالية".⁽⁴²⁾

يقول الفخر الرازي-رحمه الله- " أنه لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة نفسه فقال: أردت أن أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على أنه من العظام في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية، ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله تعالى، لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى".⁽⁴³⁾

الموضع السابع

قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} ⁽⁴⁴⁾.

يقول الشيخ الشعراوي: "ونلاحظ في الأسلوب هنا عظمة وروعة، ففي الشكر قال سبحانه {وَمَنْ يَشْكُرْ..} أما في الكفر فقال: {وَمَنْ كَفَرَ..} ولم يقل: {وَمَنْ يَكْفُر،} وُفِرَّقَ بين الأسلوبين، والكلام هنا كلام ربّ، ففي الشكر جاء بالفعل المضارع {يَشْكُرْ} ... {المدال على الحال والاستقبال، فالشكر متجدد ودائم على خلاف الكفر.

وكأنه - سبحانه وتعالى - لا يريد من عبده الدوام على كفره، فلعله يتوب ويرجع إلى ساحة الإيمان، فجاء بالفعل الماضي {كَفَرَ}. {أي: في الماضي فحسب، وقد لا يعود في المستقبل، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم"⁽⁴⁵⁾.

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي-رحمه الله- وبهذا أشار سبحانه وتعالى إلى الإنسان ينبغي عليه أن يجدد الشكر صباحًا ومساءً للكثرة نعمه سبحانه وتعالى وغزارته وتجده مع النفس، وأما الكفر

فينبغي أن لا يتكرر مرة أخرى، فكل ما مضى فقد إنتهى فعلى العاقل أن لا يرتكب في أية صورة من صورهِ. وقد أورد العلماء أوجهاً أخرى ومن ذلك يقول علي بن نايف الشحود-رحمه الله- "الشكر والكفر في قوله تعالى: { وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } "يشكر" قال الشكر بلفظ المضارع ، والكفران قاله بالفعل الماضي "ومن كفر" من الناحية النحوية الشرط يجعل الماضي استقبالا ، مثال (إذا جاء نصر الله)، فكلاهما استقبال. ويبقى السؤال : لماذا اختلف زمن الفعلين فكان الشكر بالمضارع والكفر بالمشي على أن الدلالة هي للاستقبال؟ من تتبعنا للتعبير القرآني وجدنا أنه إذا جاء بعد أداة الشرط بالفعل الماضي فذلك الفعل يُفعل مرة واحدة أو قليلاً، وما جاء بالفعل المضارع يتكرر فعله، مثال: { وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا } (46) "النساء" وبعدها قال: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا } (47) "النساء" فعندما ذكر القتل الخطأ جاء بالفعل الماضي لأن هذا خطأ غير متعمد، إذن هو لا يتكرر وعندما جاء بالقتل العمد جاء بالفعل المضارع (ومن يقتل) لأنه ما دام يتعمد قتل المؤمن فكلما سنحت له الفرصة فعل. فجاء بالفعل المضارع الذي يدل على التكرار". (48)

الموضع الثامن

قوله تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (49).

يقول الشيخ الشعراوي: "و {لَهَا} تفيد الملكية والاختصاص وهي ما تُفيد وتُكسب النفس ثواباً، و {عَلَيْهَا} تفيد الوزر، ونلاحظ أن كل {لَهَا} جاءت مع {كَسَبَتْ} ، وكل {عَلَيْهَا} جاءت مع {اكتسبت} إلا في آية واحدة يقول فيها الحق: {بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (50).

وهنا وقفة في الأسلوب؛ لأن «كسب» تعني أن هناك فرقاً في المعالجة الفعلية الحديثة بينها وبين كلمة {اكتسبت}، لأن «اكتسب» فيها «افتعل» أي تكلف، وقام بفعل أخذ منه علاجاً، أما «كسب» فهو أمر طبيعي إذن ف «كسب» غير «اكتسب» وكل أفعال الخير تأتي كسباً لا اكتساباً. مثال ذلك عندما ينظر الرجل إلى زوجته، ويرى جمالها، فهل هو يفتعل شيئاً، أو أن ذلك أمر طبيعي؟ إنه أمر طبيعي، ولكن عندما ينظر الرجل إلى غير محارمه فإنه يرقب هل يرى أحد النظرة؟ وهل رآه أحد من الناس؟ وهل سينال سخرية واستهزاء على ذلك الفعل أو لا؟ لماذا؟ لأنه ارتكب عملاً مفتعلاً.

مثال آخر، إنسان يأكل من ماله، أو من مال أبيه، إنه يأكل كأمر طبيعي، أما من يدخل بستاناً ويريد أن يسرق منه فهو يتكلف ذلك الفعل، ويريد أن يستر نفسه، فصاحب الشر يفتعل، أما صاحب الخير فإن أفعاله سهلة لا افتعال فيها. فالشر هو الذي يحتاج إلى افتعال" (51).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي-رحمه الله- ولذا استخدم فعل "كسب" للإيجابيات؛ لأنها لا تحتاج إلى تكلف، بل هي طبيعة ويقوم الفاعل بأريحية نفسه، أما السلبيات والسيئات تحتاج إلى تكلف وعناء نفسي، وهي خلاف الفطرة السليمة، ولذا استخدمت "اكتسب" باب التفعّل الدال على التكلف والعناء. فسبحان من راعى خفايا القلب وخلجات النفس. وقد اتفق في هذا الوجه مع الأنصاري (52) وقد أورد العلماء أوجهاً أخرى ومن ذلك يقول الخطيب الإسكافي-رحمه الله- "كسب" يستعمل في الخير والشرّ كقوله تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)، فإنما حذر الإنسان بهذه اللفظة ما تجنيه يده، فيكون هو المؤاخذ به دون من عداه". (53)

ويقول الزمخشري-رحمه الله- "فإن قلت: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهي النفس، وهي منجذبة إليه وأماره به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال". (54)

الموضع التاسع

قوله تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا} (55).

يقول الشيخ الشعراوي: "هذا كلام فتي موسى: أريت: أخبرني إذ لجأنا إلى الصخرة عند مجّمع البحرين لنستريح {فإني نسيته الحوت}. ونلاحظ أنه قال هنا {نسيته} وقال في الآية السابقة {نسيًا}. (56) ذلك لأن الأولى إخبار من الله، والثانية كلام فتي موسى. فكلام الله تبارك وتعالى يدلنا على أن رئيساً متبوعاً لا يترك تابعه ليتصرف في كل شيء؛ لأن تابعه قد لا يهمله أمر المسير في شيء، وقد ينشغل ذهنه بأشياء أخرى تُنسيه ما هو مُنوط به من أمر الرحلة.

ثم يعتذر الفتي عما بَدَرَ منه من نسيان الحوت، ويقول: {وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} فالشيطان هو الذي لعب بأفكاره وخواطره حتى أنساه واجبه، وأنساه ذكر الحوت" (57).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي أن التعبير ب"النسيان" لأن ذلك إخبار من الله عزوجل والثانية كلام فتي

موسى. فكلام الله تبارك وتعالى يدلنا على أن رئيساً متبوعاً لا يترك تابعه ليتصرف في كل شيء؛ لأن تابعه قد لا يهيمه أمر المسير في شيء، وقد ينشغل ذهنه بأشياء أخرى تُنسيه ما هو مُتَوَطِّع به من أمر الرحلة. وقد أورد العلماء أوجهاً أخرى ومن ذلك يقول ابن جماعة -رحمه الله- "أن النسيان بمعنى: الترك، فمن موسى عليه السلام: ترك التفقد، ومن فتاه: الدهول عنه أو النسيان منهما في مجمع البحرين، ومن فتاه لما جاوز ذلك". (58)

ويقول السيوطي -رحمه الله- "وقوله تعالى: {نسيًا حوتها} والناسي كان يوشع بدليل قوله لموسى: {فإني نسيت الحوت} ولكن أضيف النسيان لهما جميعاً لسكوت موسى عنه". (59)

الموضع العاشر

قوله تعالى: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوْلَ مَرَّةٍ فَافْعَدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} (60).

يقول الشيخ الشعراوي: "وهنا في هذه الآية الكريمة يقول الحق سبحانه: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ} والحق سبحانه هو الفاعل، والكاف في {رَجَعَكَ} هي المفعول به. ولكن لأنها ضمير ملتصق بالفعل يتقدم المفعول على الفاعل. إذن: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ} رجع فعل متعد، والفاعل لفظ الجلالة. والمفعول هو الضمير العائد على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي: أن الله رجعتك يا محمد. ولكن هناك آية في القرآن الكريم تقول: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا...} (61). في الآية التي نحن بصدددها {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ} الفاعل هو الله، أما في قوله الحق: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى} نجد أن موسى هو الفاعل ولا يوجد مفعول به، إذن ف «رجع» يمكن أن يكون فعلاً لازماً، كأن تقول

:«رجع محمد من الغزوة». ويمكن أن يكون فعلاً متعدياً كقوله سبحانه: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ} أي: يا محمد من الغزوة. إذن: فرجع تستعمل لازمة وتستعمل متعدية. ولكن في قصة سيدنا موسى عليه السلام؛ عندما ألقته أمه في البحر والتقطه آل فرعون؛ ومشت أخته تتبعه؛ ثم حرّم الله عليه المراضع ليعيده إلى أمه كي يزيل حزنهان يقل الحق سبحانه: {إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ...} (62).

ما هو الفرق بين الآيات الثلاث؟ ولماذا استعمل فعل «رجع» لازماً ومتعدياً؟ نقول: إنه في قول الحق سبحانه وتعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ} هنا هيىء لموسى من ذاته أن يرجع، أي: انه قرار اختياري من موسى، أما قوله تعالى: {فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ}، فموسى في هذه المرحلة؛ كان طفلاً رضيعاً لا يستطيع أن يرجع بذاته، ولا بد أن يهيىء له الحق طريقة لإرجاعه، أي: من يحمّله ويرجعه. أما قوله تعالى: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ} فقد كان من الممكن أن يقال: «وإذا رجعت إلى طائفة منهم» مثلما قال في موسى عليه

السلام: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى} ولكن الحق استخدم {رَجَعَكَ} ليدل على أن زمام محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الفعل والترك ليس بيده. وكأنه سبحانه وتعالى يوضح: إياكم أن تنسبوا الأحداث إلى بشرية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن محمداً إذا ذهب إلى مكان فالله هو الذي أذهب إليه. وإن عاد من مكان فهو لا يعود إلا إذا أرجعه الله منه. كما كانت هجرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة يذن من الله، فقبل أن يأذن الله له بالهجرة، لم يكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشريته يستطيع أن يهاجر. إذن: فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يعرف دائماً: أن ذهاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجوعه من أي مكان، ليس ببشرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل بإرادة الحق سبحانه. ولكن لماذا قال الحق سبحانه وتعالى: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ} وكان من الممكن أن يقول «فإن رجعت الله إليهم» أة: «فإن رجعت الله إلى المدينة»؟ نقول: إن الحق سبحانه وتعالى يريد الحديث هنا عن الطائفة التي حدثت منها المخالفة، فهناك من بقوا في المدينة رغماً عنهم ولم يكن لديهم ما ينفقونه أو لم يكن لدى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يحملهم عليه" (63).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام: وقد وضح الشيخ الشعراوي - رحمه الله - أن فعل رجع يستخدم متعدياً ولازماً كما وضح الأسرار البلاغية الكامنة وراء هذا الاستعمال بكل وضوح، والاختلاف جاء لأجل اختلاف المعنى والمقام والسياق. رجع بنفسه؛ لأن كان رجوعاً عاماً، رجع الله موسى؛ لأنه كان رضيعاً، رجعت للإشارة إلى أن التصرف والاختيار لله سبحانه.

الموضع الحادي العشر

قوله تعالى: {اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون} (64).

يقول الشيخ الشعراوي: "والاقترب: إما أن يكون زمناً أو مكاناً، فإذا كانت المسألة في مسافات قلنا: اقترب للناس حسابهم يعني مكانه. وإذا كانت للزمن قلنا: اقترب زمنه. فالاقترب: دُئو الحدث من ظرفية زمناً أو مكاناً.

والحق سبحانه حينما يُعبّر بالماضي {اقترب} يدل على أن ذلك أمر لازم وسيحدث ولا بُدَّ، والبشر حينما يتحدثون عن أمر مقبل يقولون: يقترب لا اقترب؛ لأن اقترب هكذا بالجزم والحكم بأنه حدث فعلاً لا يقوفاً إلا الله الذي يملك الأحداث ويقدر عليها، أما الإنسان فلا يملك الأحداث، ولا يستطيع الحكم على شيء لا يملكه بعد أن يتلفظ بهذا اللفظ. ومثال ذلك في قوله تعالى: {أتى أمر الله فلا تستعجلوه...} (65) فلا يُقال لك: لا تستعجل شيئاً إلا إذا كان لم يحدث بعد: فكيف - إذن - جمع بين الماضي {أتى...} والمستقبل {فلا تستعجلوه}. قالوا: أنت ممنوع أن تحكم بمضي على أمر مستقبل؛ لأنك

لا تملك نفسك، ولا تملك ظروف المستقبل، كما في قوله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...} (66). لا بُدَّ أن تُردف هذا القول بالمشيئة؛ لأن قولك «سأفعل ذلك غداً» قضية يدعوك للفعل والقدرة التي تُعينك أن تفعل.

وهذه كلها عناصر لا تملك أنت شيئاً منها، وربما جاء غَدٌ فتغيَّر عنصر من هذه العناصر، وحال بينك وبين ما تريد، فينبغي أن تُبريء نفسك من احتمال الكذب فتقول: إن شاء الله وتردُّ الأمر إلى القادر عليه الذي يملك كل هذه العناصر، وكأن ربك يُعلِّمك ألا تكون كاذباً. لذلك نجد أن اللغة قد راعت قدرة المتكلم، ووضعت له الزمن المناسب، فإن علمت حدوث الفعل قُلُّ بالماضي: حضر فلان، انتهت القضية، فإن علمت أنه توجه للحضور واستعدَّ له قُلُّ: سيحضر فلان أي قريباً، أو سوف يحضر أي: بعد ذلك. هذا الذي يناسب قدرة البشر. أما الحق سبحانه فيملك زمام الأشياء وتوجيهها، وكل شيء مرهون بأمره التكويني، فإن قال للأمر المستقبل: أتى أو اقترب فصديق؛ لأنه لا شيء يُخرج الأمر عن مراده تعالى، وهو وحده الذي يملك الانفعال لكلمة كُنْ، فإن قالها فقد انتهت المسألة.

لذلك يقول سبحانه: {اقترب للناس حسابُهُم...} بصيغة الماضي ولم يقل: يقترب أو سيقرب؛ لأن المتكلم هو الله.

وقد ورد الماضي (اقترب) أيضاً في قوله تعالى: {اقتربت الساعة وانشق القمر} (67). وفي قوله تعالى {واسجد واقترب} (68) فاقترب غير قُرب، قُرب: يعني دنا، أما اقترب أي: دنا جداً حتى صار قريباً منك" (69).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي -رحمه الله- واستخدام الفعل الماضي للقيامه للإشارة إلى تحقق وقوعها وعدم الشك في إتيانها، وهذا كثير في القرآن الكريم.

الموضع الثاني العشر

قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} (70).

يقول الشيخ الشعراوي: "لما قال الحق - تبارك وتعالى - في الآية قبل السابقة من سورة الحج {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (71) ولعلَّ تفيده الرجاء، أراد سبحانه أن يؤكد هنا على فلاح المؤمنين فقال: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} وأن الرجاء من الله واقع ومؤكد، لذلك جاء بأداة التحقيق {قَدْ} التي تفيده تحقق وقوع الفعل، وهكذا تنسجم بداية سورة (المؤمنون) مع نهاية سورة (الحج) .

وقوله تعالى هناك {تُفْلِحُونَ} وهنا {أَفْلَحَ} مادة (فلح) مأخوذة من فلاحه الأرض، والفلاح هو الشق؛ لذلك قالوا: إن الحديد بالحديد يفلح، وشقُّ الأرض: إهانتها وإثارتها بالحرث، وهذه العملية هي أساس الزرع" (72).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي-رحمه الله- واستخدام "أفلح" للدلالة على الفوز الأخروي الذي لا رسوب بعد، كأن المؤمن شقّ الطريق الصعب ووصل إلى مرامه وهدفه.

الخاتمة و فيها النتائج:

توصل الباحثان من خلال البحث إلى نتائج أهمها الآتي:

- وقد سبق للخطيب الخطيب الأسكافي أن فضل في شرح سبب اختلاف الصيغ التشابه اللفظي، و"درة النزيل" من أقدم الكتب التي وجهت سبب اختلاف الصيغ التشابه بين الألفاظ.
- اهتم الشيخ الشعراوي بإبراز أسرار التشابه اللفظي في القرآن الكريم المتعلقة باختلاف الصيغ، وهذا واضح في كم المواضع المذكورة داخل الرسالة والتي وصل عددها إلى الثاني العشر(12)
- اعتمد الشيخ الشعراوي على العديد من الأمور التي تساعده في بيان سر التشابه اللفظي ومن ذلك: السياق وقواعد اللغة والفروق الدقيقة بين المعاني وغيرها.
- استفاد الشيخ الشعراوي من كلام العلماء الذين سبقوه في إبراز أسرار التشابه اللفظي كالإسكافي وابن الزبير وغيرهم من المفسرين .
- تفرد الشيخ الشعراوي بذكر العديد من أسرار التشابه اللفظي التي لم يسبق إليها.
- يتميز أسلوب الشيخ الشعراوي في إبراز أسرار التشابه اللفظي بأنه أسلوب وسط سهل غير معقد حيث يعتمد اللغة البسيطة التي تفهمها العامي والعالم.

التوصيات المقترحة

أوصى الباحث بضرورة عقد مقارنة بين جهود القدماء والمحدثين في بيان أسرار التشابه اللفظي كما أوصيهم بضرورة إبراز جهود علماء شبه القارة الهندية في هذا المجال.

.....

الهوامش

- 1 - دقادوس: بلدة صغيرة في نواحي مصر تقع على نهر النيل شرقاً فرع دمياط وهي من القرى القديمة، واسمها في العصر الفرعوني "أتوكاتوس" وفي العصر القبطي "تاكادوس" والعربي "تقدوس" اشتهرت قديماً بصناعة تجليد الكتب وصناعة الحصر الريفي، وتشهر إحدى عائلاتها بتحبير كسور العظام. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، دارالفكر، بيروت، دت، ج2ص522.
- 2 - المصباح المنير: ج1، ص159. تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ دراسة وتحقيق: الناشر: المكتبة العصرية عدد المجلدات: مصدر الكتاب : موقع مكتبة المدينة الرقمية، <http://www.raqamiya.org> [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي].

- 3 - الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: ج7، ص86. المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ). الناشر: دار العلم للملايين - بيروت. الطبعة: الرابعة - يناير 1990. الأجزاء: 6.
- 4 - القاموس المحيط: ج3، ص381. المؤلف: الفيروزآبادي.
- 5 - البرهان في علوم القرآن: ج1، ص112. المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ثم صوّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات)، عدد الأجزاء: 4.
- 6 - يُنظر: متشابه القرآن، للكسائي، تحقيق: د/ محمد محمد داود، دار المنار للنشر والتوزيع، (ص40).
- 7 - يُنظر: درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق ودراسة: مصطفى آيدين، (1/ 138)، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
 - 1 - سورة الأعراف: 68.
 - 2 - سورة هود: 34.
 - 3 - تفسير الشعراوي: ج7، ص4210
 - 11 - كشف المعاني: ج1، ص179.
 - 12 - ملاك التأويل: ج1، ص197-198.
 - 13 - سورة الأعراف: 112.
 - 14 - سورة الشعراء: 37.
 - 15 - نفس المصدر، ج7، ص4288-4289.
 - 16 - أنظر: البحر المحيط في التفسير: ج5، ص132.
 - 17 - البرهان: 127.
 - 18 - سورة الأعراف: 120.
 - 19 - سورة الشعراء: 40.
 - 20 - سورة الأعراف: 116.
 - 21 - التفسير الكبير: ج14، ص333.
 - 22 - سورة هود: 67.
 - 23 - تفسير الشعراوي: ج11، ص6544.
 - 24 - سورة الأعراف: 90-92.
 - 25 - سورة هود: 94.
 - 26 - درة التنزيل: ج2، ص264-267.
 - 27 - سورة البقرة: 275.
 - 28 - ملاك التأويل: ج2، ص260.
 - 29 - سورة الروم: 51.
 - 30 - سورة الروم: 48.

- 31 - تفسير الشعراوي: ج18، ص11519.
- 32 - درة التنزيل: ج2، ص588.
- 33 - البرهان: ج1، ص182.
- 34 - سورة لقمان: 22.
- 35 - تفسير الشعراوي: ج19، ص11740.
- 36 - تفسير أبي السعود: ج7، ص76.
- 37 - روح المعاني: ج11، ص353.
- 38 - سورة الكهف: 79.
- 39 - سورة الكهف: 82.
- 40 - تفسير الشعراوي: ج14، ص8967.
- 41 - أنظر: البرهان: ج1، ص170. / أنظر: كشف المعاني: ج1، ص243.
- 42 - فتح الرحمن: ج1، ص347.
- 43 - التفسير الكبير: ج21، ص492.
- 44 - سورة لقمان: 12.
- 45 - تفسير الشعراوي: ج19، ص11634.
- 46 - سورة النساء: 92.
- 47 - سورة النساء: 93.
- 48 - الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: ج1، ص207. جمع وإعداد، الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود (المكتبة الشاملة)
- 49 - سورة البقرة: 286.
- 50 - سورة البقرة: 81.
- 51 - تفسير الشعراوي: ج2، ص1244.
- 52 - فتح الرحمن: ج1، ص75.
- 53 - درة التنزيل: ج1، ص844-845.
- 54 - الكشف: ج1، ص332.
- 55 - سورة الكهف: 63.
- 56 - سورة الكهف: 61.
- 57 - تفسير الشعراوي: ج14، ص8952.
- 58 - كشف المعاني: ج1، ص241.
- 59 - البرهان في علوم القرآن: ج3، ص4.
- 60 - سورة التوبة: 83.

- 61 - سورة الأعراف: 150.
- 62 - سورة طه: 40.
- 63 - تفسير الشعراوي: ج9، ص5386-5387.
- 64 - سورة الأنبياء: 1.
- 65 - سورة النحل: 1.
- 66 - سورة الكهف: 23-24.
- 67 - سورة القمر: 1.
- 68 - سورة العلق: 19.
- 69 - تفسير الشعراوي: ج15، ص9471-9473.
- 70 - سورة المؤمنون: 1.
- 71 - سورة الحج: 77.
- 72 - تفسير الشعراوي: ج16، ص9969.